الإسلام وتحديات القرن القادم

الأستاذ / نجم الحق الندوي

إستهل القرن العشرون الراهن برسالة الأمن والطمأنية في العالم كله ، ولكن لم تتحقق تلك الأمنية والحلم وتشكل العالم في إختتام ذلك القرن ما نشاهده اليوم من الإضطرابات والفوضى الخلقية مصاحبا بالتطورات العلمية والتكنولوجيا و في مجال علم الطب والهندسة وفي مجال الإقتصاد والسياسة حسبما تطور العالم في إزدهاره وإنتشاره ، وتغيرت خريطة العالم في القرن الراهن أكبر تغير ، وانقسم العالم إلى ٢٠٨ بلاد ، وكان السبع والخمسون بلادا منها يعيش فيها المسلمون أغلبية ، وإن لم ينفذ فيها الدستور الإسلامي إلا قليلا الذي جاء بها النبي إلى كافة الناس جميعا لنشر النزعة الإنسانية في العالم . ذات يوم أن العالم أكثره كان يسيطر عليه المسلمون من الرعيل الأول بالتعاليم النبوية والكتابية ولا سيما بالأسوة الإنسانية الحسنة التي ورثوها من النبي ﷺ ، وشاهد بها التاريخ في كل دور وقطر كما شاهد العزم والإستقامة في عهد أبي بكر ﷺ ، ورأي العدل والإنصاف في عصر عمر ﷺ ، وشاهد الجود والسخاء في عهد عثمان ﷺ ، وأحس القضاء في عهد علي ﷺ ، وشاهد السياسة في عهد معاوية ، ورأي الفوز والسعادة في عهد الخليفة الأموي وليد بن عبد الملك بنشر لواء الإسلام من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن الشرق الأوسط إلى الأسبانيا وإلى الإفريقيا وإلى حدود الصين والهند ، وكذا شاهد التاريخ الزهد والقناعة وسياسة البلاد في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، ورأى الزكاء والفراسة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وكذا شاهد العالم تطورات الثقافة الحضارية ونشاطاتها في عهد الخليفة العباسي عبد الله المأمون ، وكذا رأي فراسة الحرب والضرب الحمية الدينية الإسلامية في عهد البطل الإسلامي للحرب الصليبية السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ولكن من الأسف الشديد قد ضاقت الأرض اليوم بما رحبت على المسلمين وركدت نشاطات الجهاد في المسلمين ولم يخطر ببالهم بث الحروب الإسلامية ونشاطات المجاهدين فيها مع قلة العدد والعُدد ، وجمدت فيهم القوة الإجتهادية وإتخذوا القرآن مهجورا مع أنه كان لهم هداية ورشدا في كل ناحية من نواحي الحياة بل جعلوه كتابا مقدسا يغطي بالغلاف ، وزيادة على ألأسف مع أنهم كانوا مسلمين يزعمون أن الدستور الإسلامي لم ينطبق نفاذه في هذا العصر الحديث ، فتبدلت الدول الإسلامية إلى دولة شعبية أو إشتراكية أو شيوعية أو رأسمالية أو جمهورية حديثة وما إلى مثل ذلك ، فبعد المسلمون من التعاليم النبوية وتشوقوا إلى الثقافة الغربية وحضارتها موضع الثقافة الإسلامية حتى تلونوا بها حتى طردوا من الدولة والحكومة رويدا وأحسوا أنفسهم غرباء في بلادهم الأصلية ، حتى تخلفوا في كل ناحية من نواحي الحياة من العلم والأدب والثقافة والفن التي كانت تؤثر على الأمم الأخرى في العصر الذهبي للمسلمين ، فلما وجهنا الطرف إلى الربع الأخير من القرن الراهن فنجد هناك أن أوربا قد تطورت إلى القمة المادية وأسست الفلسفة الحديثة مكان الفلسفة الدينية القديمة ، وأخذت السياسة والإقتصاد وعلم الإجتماع جدتها وتفوقت على العالم في مجال العلم ، والتكنولوجيا وتولدت ثقافة حديثة خاصة ونشطت حضارة جديدة في أوربا كلها حتى طردت بها السياسة الدينية ونشاطاتها الكنيسية منها بتلك التغيرات الدرامية مع أن التأثرات الدينية قد بقيت ومعها في حياتهم الدينية وتخيلاتهم فابتدأت المصارعة بضدها ويعاندون الفكر الإسلامي ، وإن كان أتباع العلم العمياء لم يفلحوا في تقديم شيء جديد مؤثر ضد الفكر الإلهي في العالم كله ، فلما تسلطت تلك الفكرة الغربية على الدولة وحكومتها ، وبلغت بها إلى قمة العلم والفكر فانتشرت بها الوباء المعادية للإله في العالم حتى أنكروا وجود الله جل وعلا ، وسيطرته على نظام الكون وعدت عبادة الله بدعة سيئة وجعل الدين شيئا مهملا والإستقامة على الدين التخلف ، وضيق النظر والتبعة العمياء حتى جعلت العملية الشيطانية زية جديدة ، وإضافة إلى ذلك أن الذين لا مساهمة لهم في تطور العلم ونشاطاتها أنشروا الدعاية ضد الدين والديانة بحيث أنه يعرف في المجتمع والأوساط العلمية برجل حديث . ونتيجة ذلك أن أية دولة من الدول الإسلامية ليست دولة مستقلة الآن بإعتبار الفكر والسياسة والإجتماع حيث كانوا أستطاعوا على الإستقلال والحرية وحصلوا عليها ، ولكن في الواقع لم يكونوا أحرارا ومستقلين بعد من عبادة الفكر الغربي وسيادتهم وخيالاتهم حتى تلونت معاهد المسلمين التعليمية ومكاتبهم الدراسية والتجارية والإدارية وأسواقهم ومراكزهم التجارية والثقافية حتى الأزياء البدنية أيضا بألوان الغرب وأوربا وحضارتها ، وفي الواقع أنهم كانوا يفكرون بدماغهم الغربية وينظرون بأعينهم ويسلكون في الطريق الذي ترشد إليه الغرب ويصدقون ما تصدقه الغرب من غير تردد ، ويزعمون أن المعيار الذي أقامته الغرب لا تزان الثقافة والحضارة ومقارنة الحشمة والنبالة الخلقية والإجتماعية هو المعيار الأصيل حتى أنهم كانوا يوازنون دينهم وأفكارهم الدينية والإيمانية وحضارتهم الإسلامية حسمتهم الخلقية بالمعار الغربي ، ونتيجة ذلك أن فلسفتهم الإجتماعية والساسية والدستور والقضاء كل ذلك يبتدأ وهابة من ضلال وينتهي إلى ضلال أعمق حيث بلغت تلك الحضارة إلى الحد

البقية على ص - ٧

يشقى بها صاحبها ويحسد الخالين ! وقد يكون عذابا مؤجلا إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة ، كما يشاء الله ولكنه واقع لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء ، وذلك الكفر لا تعود على الله عاندته ، وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره . وشكر النعمة يكون بالقلب واللسان والجوارح أما شكر القلب فهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن صاحب الفضل هو الله تعالى وهو المستحق للحمد والثناء والشكر وأن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة وشكر اللسان ترجمة قولية لما انعقد عليه القلب من إيمان وإعتراف لله بالفضل والمنة ، فهو إظهار الشكر لله بالتحميد وشكر الجوارح هو استعمال الجوارح في طاعة الله تعالى عبادة وسلوكا والتوقي من الإستعانة بها على معصيته ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تنفر رجلاه ، فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله : أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال صلي الله عليه وسلم (يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ؟) أخرجه مسلم . وإننا لا بد أن نستقبل الرزق بالشكر وأن نستقبل كل أحداث الحياة بكلمة (الحمد لله) فالحمد يزيد كل شيء ، ولله محمود دائما لأن قضاءه كله خير ، ولا يأتي منه سبحانه إلا الخير ، ولكن شهوات النفس هي التي تتحكم وتريد أن تجعل نفسها حكما على أحداث الكون ، فما تريده وتشتهيه تظن أنه خير وما لا تريده تظن أنه شر ، وهي لا تحكم على أساس إصلاح هذا الكون ولكنها تحكم على أساس المنفعة الشخصية ولو أفسدت كل شيء !! . والشكر خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى في سورة التغابن ﴿ والله شكور حليم ﴾ وقد سمي نوح عليه السلام عبدا شكورا ، قال تعالى ﴿ إنه كان عبدا شكورا ﴾ الإسراء - ٣ ، كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ، كما قال تعالى في سورة النمل على لسان سيدنا سليمان ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ﴾ أوزعني معناها اللغوي أجمعني كلي أجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني وخواطري وخلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجهاتي إجمعني كلي إجمع طاقاتي كلها أولها على آخرها وآخرها على أوله لتكون كلها في شكر نعمتك علي وعلى والدي ، وهكذا يجب أن يكون لسان حال كل إنسان أربعين عاما ، قال تعالى في سورة الأحقاف ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنه قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾ وعن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها) رواه مسلم والترمذي والنسائي .

البقية المنشورة على ص - ٨

الشيطان ، حيث قال القرآن الكريم بلسانه الخالد ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ وأمر بالإجتناب منها حيث قال ﴿ فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

٩- تعويد النظافة : وكذلك يجب على المعلمين وكما يجب على كوافل الأطفال أن يعلموهم النظافة ، ولتحقيق هذا الهدف الغالي يجب عليهم أن يعلموا ضرر عدم النظافة وعدم غسل اليد قبل الأكل وعدم غسل الرجل قبل الدخول في البيت وقص الأظافر وعدم الغسل في كل يوم ونظافة الأسنان كل صباح ، وطريقة قضاء الحاجة واستعمال اليد اليسرى في إستعمال الماء عند الطهارة من النجس ، وإستخدام اليد اليمنى في كل أمر من الأمور إلا في قضاء الحاجة ، وهذه الأمور عملية واقعية لا قولية وبيانية .

١٠- التفريق في المضاجع : وهنا تعليم خاص للأطفال ، ويكون لكل طفل فراش خاص إذا بلغ إلى عمر ، ولذلك فإننا نرى بأن الرسول صلي الله عليه وسلم أشار إلى هذه الحقيقة بقوله " فرقوا بينهم مضاجعهم " .

١١- تعويد التسليم والإحسان : الأطفال عبيد التعويد ، فعلينا أن نعودهم التسليم كما جاء في الحديث النبوي الشريف " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " وبالإحسان مع الجيران وعدم إيذائهم في المعاملات الشخصية والمصاحبات اليومة .

١٢- تربية الأولاد على الشجاعة : وهنا يجب على الآباء أن يذكروا لهم قصة الجهاد والمعركة التي دارت بين المسلم وبين الكفار ، ودور أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم في الجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض وإن الكتب زاخرة بهذه البطولة والشجاعة الإيمانية ، حتى أنهم يؤمنون كامل الإيمان بأن المسلمين لا يخافون أحدا إلا الله ، ولا يخافون لومة لائم في سبيل الله ، وفي هذا الصدد يجب على الأباء والأمهات أن تجتنبوا كل الإجتناب لغرس الخوف في نفوسهم بالأكاذيب والأوهام ؛ وبهذه الكلمات القصيرة نرجو من الآباء أن يعلموا الأطفال تربية صحيحة ويشجعوهم نحو أداء مسؤولياتهم الإيمانية حتى يكون الجيل المسلم القادم جيلا ناشيا في عبادة الله وحده ، ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

البقية المنشورة على ص - ٩

الأخير من التهلكة والخطر ويتبعون بذلك إلى الطريق المضلل إلى الدنيا وما فيها بحيث لا خالق لها ولا مسيطر عليها فيرتكبون العمليات الدنيئة والخسيسة بكل رغبة ونشاط لا يبالون إلى شيء ما . ومن الإتجاهات تولد هذا السؤال في كل من له عقل ولب " ما هي حالة العالم الآن ؟ " ويكفي لحل ذلك السؤال مثال واحد ، وذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تعرف اليوم حاملة لواء الجمهورية الحديثة ومقيمة الأمن والسلام في العالم حسب زعمها ، أن مظاهر القلق والإضطراب تتزايد فيها كلما أصبحت وسائل الرفاهية ميسرة للمواطنين الأمريكيين .